قسم الأبحاث | 2018-06-12

اقتصاديّات التديّن الشعبيّ
(المسجد الأحمدي أنموذجاً)

سامح إسماعيل
كاتب وباحث مصري

جميع الحقوق محفوظة © 2018
www.hafryat.com

يمكن القول إنّ المعرفة الأصولية تنطلق دوماً من فكرة النص المفارق في عليائه, والمطلق في معانيه ودلالاته, وبشكل أصبح معه المضمون والتفسير متعاليَيْن مغلقيْن في التاريخ, ورغم ذلك؛ فقد وجد التدين الشعبي طريقه, وشقّ مساره في الوجدان الجمعي, بعيداً عن التجريد الأصولي الذي يحتل فيه الفقيه مكانة الوسيط, وهو ما كشف عن عوالم أخرى أكثر رحابة تماهى فيها الإنسان مع احتياجاته البشرية, وقناعاته الدينية في الوقت نفسه.

تسعى الدراسة إلى إلقاء الضوء على اقتصاديات السوق لواحد من أكبر وأشهر مساجد مصر, ألا وهو المسجد الأحمدي بمدينة طنطا, ويعود اختيار هذا المسجد بالذات كموضوع للدراسة؛ نظراً إلى طبيعته الخاصة؛ حيث يضمّ المسجد ضريح سيدي أحمد البدوي, وهو واحد من أقطاب الصوفية, وأهم أعلام العارفين والأولياء, ويمثل المسجد الأحمدي نمطاً شديد الخصوصية, ببعده التاريخي, وموقعه الجغرافي, وحالة التصالح بين أنماط التدين التي تمارس فيه ومن حوله؛ حيث يظل رمزاً من رموز التدين الشعبي في مصر, ويشكل منطقة وسطى بين التدين الأصولي, والتدين المؤسسي, ويخلق بؤرة تنصهر فيها كلّ التصورات والتمثلات الذهنية, النصية منها والشعبية, لتتشكّل حالة أكثر قرباً من احتياجات الناس وتخيلاتهم حول المطلق وعوالمه البعيدة, في لحظة توحد نادرة مع الواقع؛ حيث العقلية الشعبية التي قد لا ترتاح لفكرة (اللّه) المجرد والمطلق, والتي يرتكز عليها التصور الأصولي, وعليه نجح العقل الشعبي في الإفلات من فكرة التجريد؛ حيث يمثل (الولي) حالة وسطى, تلتقي عندها رغبة الإنسان في إدراك المعجزات والكرامات, من خلال هذا المصطفى بالمعرفة الإلهية, فيصبح اللّه المطلق أكثر اقتراباً من عوالم الإنسان, من خلال أوليائه الذين اختصهم بعلمه وقدرته.

يعدّ المسجد في الأدبيات الإسلامية أكبر وأعم وأشمل من أن يكون داراً للعبادة فقط؛ حيث يؤدي عدة أدوار مهمّة في حياة المسلمين؛ فبالإضافة إلى دوره الروحاني بصفته الطقوسية, يعد كذلك مركزاً للنشاط العام الاجتماعي, والاقتصادي, والتربوي, والسياسي, والعسكري في أوقات الحروب, وهو ما يضاعف المكانة المقدسة للمسجد في قلوب عموم المسلمين.

وتبدو العلاقة بين دور المسجد والدولة علاقة عكسية, فكلما كانت الدولة قادرة على تقديم الخدمات لمواطنيها, كلما تضاءل دور المسجد, واقتصر على الرعاية الروحية, وبالعكس فإنّه كلما انكمش دور الدولة كلما تمدد نشاط المسجد.

أدى المسجد في حياة عموم المسلمين العديد من الأدوار المركبة, في ظلّ عدم قدرة بعض المؤسسات الرسمية على القيام بواجباتها؛ فلعب, أي المسجد, بذلك دوراً اجتماعيّاً واقتصاديّاً مهماً في محيطه الجغرافي, وقامت من حوله بعض الجمعيات التي ارتبطت به, لتؤدي نشاطاً كبيراً في الحياة العامة, كما قامت في محيط المسجد العديد من المشروعات والأنشطة الاقتصادية, بفضل التوافد المتزايد لمريديه, وهو ما أدى بدوره إلى قيام الأسواق على هامش الاحتفالات الدينية في أيام الجمع وشهر رمضان, وأثناء الموالد الكبرى التي تقام احتفالاً بذكرى وفاة أحد الصالحين ممن ارتبط وجوده بالمسجد, بحكم التكوين التاريخي.

تتناول هذه الدراسة اقتصاديات السوق لأحد أهم المساجد الكبرى في مصر, وهو؛ مسجد سيدي أحمد البدوي, أو «المسجد الأحمدي», وهو أكبر مساجد مدينة طنطا, وأحمد البدوي يعده المريدون أحد أقطاب الولاية الأربعة لدى الصوفية من أهل السنّة والجماعة, ويعدّ الاحتفال بمولد البدوي من أكبر الاحتفالات الدينية في مصر, وتحتفل به 67 طريقة صوفية من جميع أنحاء مصر, وتأتي أهمية إقامة مولد البدوي كلّ عام من ربط الشمال المصري بجنوبه, حتى أنّ معظم أهل الصعيد لا يزورون الوجه البحري إلا في موعد إقامة مولد السيد البدوي.

مدخل تاريخي وصفي

عام 637هـ؛ وصل إلى مصر أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر, الذي ينتهي نسبه إلى علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب, ويمّم وجهه شطر مدينة طنطا, نتيجة لرؤية رآها في منامه ثلاث مرات؛ أن سر إلى طنطا, فإنّك تقيم بها, وتربي رجالاً وأبطالاً, ونزل البدوي في طنطا في دار الشيخ ركن الدين ركين التاجر, وبقي عنده 12 عاماً, أصاب الشيخ ركين في أثنائها خيراً عظيماً, وبعد

موت الشيخ ركين الدين انتقل البدوي إلى دار أخرى مجاورة, وهي دار ابن شحيط, شيخ الناحية, وبقي بها نحو 26 عاماً, حتى مات عام 675هـ, وكان من عادة البدوي أن يجلس على سطح منزله, وهناك عرف أتباعه ومريدوه: عبد العال, وعبد المجيد الأنصاري, وعبد الوهاب الجوهري, وقمر الدولة, وحسن الصايغ, وغيرهم[1].

استتبت الأمور للسيد البدوي في طنطا, وبات وكأنه أسس لنفسه مملكة صغيرة, توافرت له فيها كافة إمكانيات النمو والاتساع على مرّ الأيام؛ حيث لم يصطدم في مقره الجديد بأيّ نوع من العقبات التي صادفها في العراق, فلا أولياء كبار أكثر شهرة, كالرفاعي والجيلاني, ولا شعب يتصف بالعناد وكراهية الأغراب, ويمكن القول: إنّ البيئة كانت سهلة من حيث طبيعة الناس وحسن استقبالهم له, وهو ما جعل صيته ينتشر تدريجياً إلى كلّ الأنحاء, ويتجاوز مصر إلى ما حولها من الولايات والبلدان[2].

وعليه؛ آثر السيد البدوي أن ينفرد في طنطا, وأن يجعلها قاعدة لدعوته وأتباعه, حتى يكون بعيداً عن أنظار أهل السلطان, وحتى يكون في موضع وسط من البلاد, ويقال إنّه استطاع أن يجمع من حوله أربعين شيخاً من المريدين والأتباع الذين اختصهم بالقرب منه, وسمح لهم بالصعود إلى حيث كان يجلس على السطح, ولهذا سمّوهم بـ (السطوحية), ثم توزع هؤلاء المريدون في أنحاء البلاد يحدثون الناس بمناقبه, وينشرون تعاليمه, ويروجون لكراماته ومعجزاته, وهكذا صار ملء الأفواه والأسماع حتى وفاته[3].

توفَّى السيد أحمد البدوي عام 675هـ, ودفن في منزل ابن شحيط, فأقام تلميذه عبد العال خلوة بجوار قبره, تحولت فيما بعد إلى زاوية عرفت بالأحمدية, بقيت على حالها حتى عصر السلطان الأشرف قايتباي؛ حيث أقيمت قبة على الضريح, كما أقيمت للزاوية مئذنة, وفي القرن الثاني عشر الهجري بنى على بك الكبير

---

1 **سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج 2، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،2012، ص 301.**

2 **سعيد عبد الفتاح عاشور: السيد أحمد البدوي، شيخ وطريقة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص ص 104-105.**

3 **محمد فهمي عبد اللطيف: السيد البدوي، دولة الدراويش في مصر، ط1، مطبعة الحرية، القاهرة، 1948، ص ص 38-40.**

مسجدا بجوار الضريح, كما أقيمت ثلاث قباب أكبرها فوق ضريح السيد البدوي, وأقيمت القبة الغربية فوق ضريح تلميذه وتابعه عبد العال, والشرقية فوق ضريح الشيخ مجاهد شيخ المسجد, كما صنعت مقصورة من النحاس لضريح السيد البدوي, نُقش عليها اسمه ونسبه, وأنشأ في مواجهة المسجد سبيلاً, فوقه كُتّاب.

أوقف علي بك الكبير على المسجد بعض الأوقاف سجلها في وقفيتين جاء فيهما: أنه أوقف أراضي زراعية من قرى القوصية, تغلّ سنوياً 718975 أردباً من القمح, و17 فداناً من أجود الأراضي الزراعية بنواحي طنطا وبلتاج, إضافة إلى العمائر والوكايل والعقارات التي تغلّ ريعاً سنوياً, قدره 8485265, نصف فضة؛ أي ما يعادل 26264 جنيهاً مصرياً؛ إذ كان الجنيه يساوي 30 نصف فضة, وكان المستفيد من هذه الأوقاف هم خلفاء السيد أحمد البدوي, وخدم الضريح والقائمين به من العلماء, والمجاورين والفقراء والمساكين والعجزة والأيتام وأرباب الأشاير المنسوبين للطريقة الأحمدية.

في القرن الثاني عشر؛ تحوّل المسجد الأحمدي إلى معهد علمي ديني, وتبلغ مساحة المسجد الذي أعيد بناؤه في القرن الرابع عشر الهجري, بما في ذلك الأضرحة والملحقات فداناً ونصف فدان, ويتكون تخطيط المسجد من كلّ ربع يتوسطه صحن, تحيط به الأروقة من جميع الجهات, ويبلغ عدد الأروقة بإيوان القبلة في الجهة الجنوبية أربعة, أما الإيوانات الثلاثة الباقية فيها رواقان, ويغطي الصحن قبة مرتفعة تقوم على رقبة, بها مجموعة من النوافذ, وفي الجهة الغربية من المسجد توجد ثلاث أضرحة: الأوسط منها, وهو أكبرها, ضريح السيد البدوي, وقد غطيت جميعها بقباب تقوم على مقرنصات, وقد زالت القبتان الجنوبية والشمالية, ولم تبقَ غير قبة السيد البدوي, وللمسجد سبعة أبواب أربعة بالجهة الغربية الرئيسية, وباب بكل جهة من الجهات الثلاث الباقية, وقد نقش على الباب القبلي تاريخ هذه العمارة عام 1320هـ[4].

ومنذ البداية, كانت خدمة الضريح وظيفة لها مكانتها, تلك المكانة التي استغلها البعض وسيلة لجني الأموال, وهو ما يفهم من نكبتي أولاد سعد الخادم,

4 **سعاد ماهر محمد: المرجع المذكور، ص 305.**

حيث كانت تلك الأسرة هي المسؤولة عن سدانة الضريح وخدمته, لكنّهم لسوء سيرتهم وظلمهم نكبهم على بك الكبير, وأخذ ما أمكنه من أموالهم, وأنفقه على العمارة, وولى على السدانة المعلم حسن المشد, ولما عادت لهم السدانة مرة أخرى, بعد علي بك الكبير, نكبوا نكبتهم الثانية, والأشد قسوة من الأولى, إبان الحملة الفرنسية على مصر؛ حيث أفرط الفرنسيون في الانتقام من تمرد قام ضدّهم في طنطا, وقبضوا على أولاد الخادم, وهم خَدَمة الضريح, وملتزمو البلدة وأكابرها, فنهبوا دورهم وصادروا أموالهم ونكلوا بكبيرهم مصطفى الخادم, حتى جمع لهم ما طلبوه من دراهم من ذهب خالص, زنتها خمسة آلاف مثقال[5], وهو ما يعكس حجم الثروات التي كان يجنيها سدنة الضريح وخدامه من العطايا والنذور.

أما عن المولد؛ فقد كان للسيد البدوي ثلاثة موالد كل عام: المولد الكبير, والمولد الصغير, والمولد الرجبي, ويعود تاريخ المولد الكبير إلى رواية تقول إنّ أتباع السيد البدوي لما علموا بوفاته, وتوافدوا على طنطا للتعزية, وكانت قرية صغيرة, ضربوا الخيام خارجها, فلما فرغوا بعد ثلاثة أيام قالوا للشيخ عبد العال, وهو يودّعهم: هذه عادة مستمرة نحضرها هنا كلّ عام في هذا الميعاد, فنشأ المولد الكبير, أما المولد الصغير فيعود إلى الشيخ الشرنبلابي أحمد مشايخ الأحمدية, الذي حضر للزيارة في غير موعد المولد, فأقام عدة ليال في الأذكار والعبادات, فاتخذ أتباعه ذلك عادة سنوية, فنشأ المولد الصغير, أما المولد الثالث؛ فيعرف باسم المولد الرجبي, نسبة إلى الشيخ الرجبي أحد مشايخ الأحمدية, الذي قام بتجديد العمامة التي على مقام السيد البدوي, وجعل ذلك في موكب صاخب, فصار الأمر عادة تتكرر كلّ عام, وفيها تتجدد العمامة, ولذلك فقد عرف بمولد لف العمامة[6].وعليه فإن تاريخ أي من هذه الموالد لا يعبر عن ذكرى الميلاد, ويصبح المولد الكبير هو في حقيقة الأمر احتفالاً بذكرى وفاة القطب الصوفي الكبير.

ويبدو العامل الاقتصادي في تحديد موعد المولد, والمرونة في تحريكه لأيام أو لأسابيع شديد الوضوح, فالمولد الكبير يأتي في الأسبوع الأول من تشرين الأول (أكتوبر), مع انتهاء موسم الحصاد, وقد ضبط بالتقويم القبطي كغيره من

5 **محمد فهمي عبد اللطيف: المرجع المذكور، ص ص 83-85.**

6 **سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع المذكور، ص ص 259-260.**

موالد مصر، وهو التقويم المتبع في السنة الزراعية عند المصريين منذ القدم؛ حيث ينتهي الحصاد، ويباع المحصول، وتنتعش الحالة الاقتصادية، وهو ما يسمح بالسفر وشد الرحال إلى السيد البدوي، كما تصبح الأرض خالية من المحصول، وهو ما يسمح بنصب الخيام فيها والمبيت طيلة أيام المولد.

من العرض السابق؛ يتضح عمق التكوين التاريخي للمسجد الأحمدي، ومدي الأهمية الروحانية ذات الطابع الصوفي للقطب الشهير، السيد أحمد البدوي، وهي أهمية جمعت المريدين من كلّ صوب، سعياً إلى الفوز بالنفحات والبركات، بكل أنساق المعنى الكامن في منطلقات التدين الشعبي، وبكافة أشكال التعبير المجازي والرمزي، ودلالاته السوسيولوجية، وهو ما خلق دائرة شديدة الحيوية من العلاقات المتشابكة والمتداخلة في أبعادها الإثنولوجية والفكرية، تكون في مجملها رؤية ذاتية للكون والعالم واللّه، بشكل يتقاطع مع المعتقدات الدينية، وتصورات البنية الذهنية وتراثها الشعبي.

الأسطورة ولحظة التأسيس

يمكن القول: إنّ الأسطورة كانت أسرع مكونات لحظة التأسيس، إن لم تكن مكونها الرئيس، نظراً لطبيعتها كأهم المهيمنات على اللاوعي الجماعي، ولما لها من قدرة على خلق ضجة خيالية، سرعان ما تتمفصل في البنية الذهنية للعقل الشعبي، وهو ما يساعد على تكيف الإنسان مع ظواهر الكون، وخلق تصورات عما يفشل في تفسيره، ووضع تلك التصورات في السياق الاجتماعي.

والأسطورة هنا تشكل «بنية مزدوجة تاريخية ولا تاريخية معاً»[7]، وهو ما يخلق نوعاً من التعالق المعرفي/ الشعوري، خارج منطقة الوعي الحسي بكل أنماطه

7 خليل أحمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1986، ص12.

المادية, كمحصلة لعملية تماهي تاريخي/ بنائي بين التراث والواقع, لما لها, أي الأسطورة, من قدرة على التشكل في الزمان, وتجاوز حدود المكان, حيث نلمح تشابهاً واضحاً في الأنساق الميثولوجية عند مختلف الحضارات, وتعدّ الأسطورة من أكثر ظواهر الثقافة الإنسانية تعقيداً وحضوراً في الوعي الجمعي, وبشكل يتجاوز النسق الديني التقليدي, وشتى أنماطه ومصادره. فالأسطورة بوصفها حكاية تقليدية تلعب في سياقها الميتافيزيقا أدواراً رئيسة, تجد لنفسها مكاناً مميزاً في ذاكرة الشعوب, نظراً لما تحفل به مخيلتها من حكايات, تنتمي في الغالب إلى عالم اللامرئي, فكان التقاطع بين الأسطورة والمتخيل حتمياً لنصبح أمام حقل دلالي يحفل بزخم شديد, وتأثير عميق على كافة محاور الحياة .

ولما كان السيد البدوي أحد الأقطاب الأربعة المتصرفين في الكون والمتحكمين في العباد في نظر أتباعه, ظهرت الكرامات والخوارق التي تؤيد قطبانيته, فتناثرت الروايات هنا وهناك, تحكي كيف كان في جميع تصرفاته وتنقلاته خاضعاً لما يوافيه به الهاتف في المنام؛ بل وكان يخاطب الأولياء السابقين والصوفية المتقدمين, ويتصل بأهله في مكة, ويرى النبي, صلى الله عليه وسلم, ويصعد إلى السماء, ويشاهد ما وراء الغيب, ويطلع على مشاهد الجنة والنار[8], ويمدّ يده وهو في طنطا, فيأتي بأسرى المسلمين من بلاد الإفرنج, بل وظل ينقذ الأسرى بعد مماته إلى عصر متأخر[9], كما نسبت إليه قدرته على إحياء الموتى, حين رقّ لحال امرأة مات ولدها, فمد إليه يده فأحياه الله ببركة دعائه, ونسب إليه قدرته على طيّ الأرض وانزوائها له؛ حيث روى إنّه قطع المسافة من مكة إلى طنطا في إحدى عشر خطوة؛ وكان يختفي من فوق السطح في طنطا, ليؤدي صلاة العصر في جزيرة نائية.

وتحكي الأساطير؛ أنه أوتي قدرة عظيمة على شفاء المرضى, كما أطاعته الحيوانات, وقبّلت الجمال أقدامه[10], إلى غيرها من المعجزات والكرامات التي استمرت بعد وفاته, فكانت الدافع الأكبر في توافد الجموع إلى ضريحه, والتي باتت ترتجى شفاعته عبر العصور.

---

8 **محمد فهمي عبد اللطيف: المرجع المذكور، ص 46.**

9 **نفسه، ص 61.**

10 **سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع المذكور، ص ص 155-158.**

يمكن القول: إنّ العلاقات الطبقية في سياق الخضوع لمقولات الأسطورة وحمولتها المعرفية, تأخذ شكلاً هادئاً, وبعيداً كلّ البعد عن الصراع الموجود في ميادين الواقع الاجتماعي, فالخضوع لإملاءات الأسطورة وعوالمها المفارقة تعني تجاوز الصراع, وتقديم البديل الغيبي للمحرومين, بفعل التعويض النفسي, حتى إن كان داخل وضع مادي عبودي.

والحلول الغيبية, وإن كانت تبقي السيد سيداً والعبد عبداً, إلا أنّها تفتح لهذا المحروم والمهزوم اجتماعياً, نافذة يطل منها على جنة أرضية تسبق جنان الخلد؛ حيث المدن الخفية للأولياء؛ ففي صحبتهم ما لا عين رأت من النعيم, أو كما يقول أحد المريدين: «فسرت معهم والأرض تطوى من تحتنا طيّاً, والحبّ يقول للعشاق هيّا, فلم نزل نسير حتى انتهينا إلى مدينة مبنية بالذهب والفضة, هذه مدينة الأولياء, فإذا أراد الأولياء النزهة ظهرت لهم تلك المدينة أينما كانوا»[11].

وعليه, انتشرت الحكاية الشعبية حول كرامات السيد البدوي, وهي حكاية ذات بنية بسيطة, تمتزج بالواقع الحقيقي في أعمق أعماقه, تحكي عن غرائب عالم الواقع, وغرائب العالم الآخر, وهي في الوقت نفسه تودّ أن تفسّر الحقيقة الدنيوية[12], حتى إن كانت الأسطورة أحد أهم معطياتها, لكنها تبقى جادة في طابعها تستلهم من الواقع والدين وكل معطيات العالم الباطني وجودها.

وعليه, حافظ النسق الأسطوري على حضوره قروناً طويلة, وتمكن من التعايش مع المعتقدات الدينية بشتى أشكالها, لما لها, أي الأسطورة, من قدرة إيحائية متجددة؛ حيث واصل العقل الجمعي الشعبي خلق أساطير جديدة تمنحه طاقة إيحائية رمزية على الدوام, لتتجلى الخرافة بحكم كونها ظاهرة جماعية من نتاج المخيال المشترك للجماعة .

---

11 **أحمد خليل: المرجع المذكور، ص111.**

12 **فردريش فون ديرلاين: الحكاية الخرافية (نشأتها. مناهج دراستها. فنيتها)، ترجمة: نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، القاهرة، 1987، ص ص 140-141.**

البنية المكانية ودلالتها الاقتصادية

البنية: هي الكيفية التي تنتظم بها عناصر أي مجموعة, وهي تعني كذلك مجموعة من العناصر المتماسكة فيما بينها؛ حيث يتوقف كلّ عنصر على باقي العناصر الأخرى, وحيث يتحدد العنصر بعلاقته بتلك العناصر, فالبنية هي مجموع العلاقات الداخلية الثابتة التي تميز مجموعة ما, حيث تكون هناك أسبقية منطقية للكل على الأجزاء, أي أنّ أيّ عنصر من البنية لا يتخذ معناه إلا بالوضع الذي يحتله داخل المجموعة, وعليه فالكل يبقى ثابتاً بالرغم مما يلحق عناصره من تغيير, وبهذا المعنى تشير البنية إلى صورة الشيء أو هيكله أو التصميم الذي يربط أجزاءه, وتعبر البنية المكانية عن سلسلة من العمليات ذات النسق التكويني, وهي تتميز بخاصية الاعتماد والاعتماد المتبادل لمجموعة من العوامل المتداخلة الاقتصادية والطبيعية والطبوغرافية؛ حيث ترتبط طبيعة الحيز المكاني بالموارد البشرية والإمكانات الاقتصادية المتاحة[13].

وبحسب توصيف بيير بورديو؛ فإنّ المجتمع تنتابه حركة دينامية مستمرة, تتلاقى عبرها, وتتشكل حقول ومجالات عدة؛ حيث يتولد عن تلك الحركة تركيب وتنضيد محاور ومساحات يتموقع فيها الفاعلون كلّ وفق احتياجاته ورهاناته؛ حيث تتشكل المجموعات ارتكازاً على أبنية هرمية, تعدّ حجر الزاوية في خلق حالة تخضع لمعطيات المجتمع وأدواته[14], وبناءً عليه, ومع مرور الوقت؛ تشكّلت ضمن الكتلة المحيطة بالمسجد ذوات أدائية فاعلة, تمركزت حول المسجد (الرمز), وكان النشاط الاقتصادي محور عملها, بفضل الأبعاد المكانية وسماتها التفصيلية؛ حيث يؤدي البعد المكاني هنا دورا رئيساً, وبالتحديد ما يرتبط بالعلاقات التبادلية التي يفرضها المكان, بكل ما نشأ حوله عبر قرون طويلة من أنشطة ذات طابع اقتصادي.

---

13 **Stanislaw Ossowski: Class Structure in the Social Consciousness, Vol.102, Taylor & Frankis, New York, p.10**

14 **Eric Dunning, Dominic Malcolm: Sport: Sport and power relations, Taylor & Francis,New York, 2003,pp.286-287**
للمزيد انظر: سامح إسماعيل، الجماعات الهامشية بين المركز والأطراف، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة 2015.

يقع مسجد السيد البدوي في قلب منطقة ذات تدرج وتنوع اجتماعي، يغلب عليها الطابع الشعبي، ومؤثراته التراثية؛ حيث يقع في المنطقة القديمة المطلة على ميدان المحطة في مدينة مركزية هي طنطا عاصمة محافظة الغربية، ويتجاوز عدد سكانها النصف مليون نسمة، وتقع جنوب المحافظة على الطريق بين القاهرة والإسكندرية الزراعي، وعلى الخط الحديدي بين القاهرة والإسكندرية، وتبعد حوالي 110 كم عن العاصمة القاهرة، و120 كم عن الإسكندرية، وتقع المدينة في وسط دلتا النيل، وبها واحدة من أكبر وأقدم محطات السكك الحديدية على مستوى مصر، وهو ما أهّلها للعب دور اقتصادي مهمّ؛ حيث تعدّ البوابة والمعبر الرئيس بين المدن لنقل المحاصيل الزراعية والمنتجات الأخرى [15].

في شمال المسجد، وعلى بعد أمتار قليلة يقع ميدان المحطة، بطابعه التجاري، حيث قبلة المسافرين بين مدن ومحافظات مصر المختلفة، ويعود ذلك إلى كون محطة طنطا محطة مركزية، وهو ما يسهل مهمة زوار المسجد، ويجعل تدفقهم بالآلاف أمراً عادياً.

في الجهتين الشرقية والغربية وحتى مسجد البهي الذي كان يصلي فيه السيد البدوي في الجهة الجنوبية الغربية، توجد منطقة تجارية ذات طابع شعبي بامتياز، حيث محلات الحلوى ولعب الأطفال والمطاعم، وحول السبيل يفترش الباعة الجائلون بالملابس والأدوات المنزلية، إلى جوار المحلات العتيقة التي توازى حي الصاغة وأحد مداخله تبدأ قرب ساحة المسجد.

لعبت البنية المكانية دوراً هائلا في نشأة النشاط الاقتصادي وتطوره، حيث قام السوق ونشأ حول المركز (المسجد)؛ لتتحول طنطا من مجرد قرية صغيرة إلى مدينة محورية كبيرة، ساعد على ذلك موقعها المتميز في وسط دلتا النيل.

---

15 **الهيئة العامة للتخطيط العمراني، طنطا، المنظور السريع للقطاع الحضري المستدام، برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية، المكتب الإقليمي لإفريقيا والدول العربية، 2006، ص3.**

نمو النشاط الاقتصادي

يعدّ النشاط الاقتصادي هنا محصلة للمكون التاريخي ببعده الميثولوجي كقوة جذب, والبنية المكانية بأبعادها الجغرافية والبشرية, وهو ما توافر في مدينة طنطا, باعتبارها المدينة المركزية, والعاصمة الإدارية لمحافظة الغربية, ويبلغ عدد سكانها نحو نصف مليون نسمة, وتقع في موقع متوسط جنوب المحافظة على طريق القاهرة – الإسكندرية الزراعي, وعلى الخط الحديدي بين القاهرة والإسكندرية, تقع المدينة بوسط الدلتا بين فرعي رشيد ودمياط, وبها أكبر محطة سكك حديدية على مستوى جمهورية مصر العربية, وهو ما يجعلها المعبر الرئيسي بين المدن في الشمال [16].

ويمكن القول: إنّ مقومات النشاط التجاري قد توافرت بامتياز في مدينة طنطا حول المسجد الأحمدي, فمع الموقع المتوسط للمدينة, ووجود عامل جذب لتوافد الجموع هو ضريح القطب الصوفي الموجود بمسجده؛ حيث كان لمقام السيد البدوي تأثيراً شديداً في ربط الأقاليم المصرية بعضها ببعض, فكان كثير من أهالي الصعيد لا يرون القاهرة, ولا يعرفون شيئا عن الشمال إلا بمناسبة مولد السيد البدوي, فنزل التجار ببضائعهم إلى حيث السوق المتخم بأصناف البشر من كل صوب, فصار المولد سوقا جامعاً يستعد له التاجر والمشترى, ومع رواج التجارة سكن طنطا عدد من الشوام والأروام واليهود والأوربيون من إنجليز وفرنسيين, وانتشرت أنواع المتاجر, وكان علي بك الكبير قد أنشأ قيسارية عظيمة بمثابة سوق للتجار, وأسماها الغورية, لنزول أهل الغورية بالقاهرة في محلاتها أيام المولد لبيع الأقمشة والطرابيش والعصائب, وكان الباعة ينزحون إلى طنطا في موسم المولد, وكل منهم يؤمن بأنّه بفضل بركة السيد أحمد البدوي سيبيع بضاعته بأحسن الأسعار, وكلّ مشترٍ موقن في الوقت نفسه بأنه سيشتري بأرخص الأسعار, وعليه؛ كان الفلّاح الذي يحتاج إلى شراء دابة, أو ماشية, أو ثوب من القماش, أو نعل لقدميه, أو قطعة من المصاغ لزوجته, ينتظر

16 برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية، المكتب الإقليمي لإفريقيا والدول العربية، المنظور السريع للقطاع الحضري المستدام، طنطا، الهيئة العامة للتخطيط العمراني، وزارة الإسكان،2006، ص4.

الموسم الكبير, ألا وهو مولد السيد البدوي, هذا وقد عملت الحكومات المتعاقبة في مصر على الاستفادة من هذه الحركة التجارية, ومحاولة فرض الرقابة عليها[17].

مع الوقت, اكتسبت المدينة أهمية تجارية كبيرة, كبوابة لعبور السلع والمنتجات الزراعية بين مدن وقرى الدلتا, وأصبحت مركزاً للمواصلات بين العاصمة القاهرة, والإسكندرية وشتى مدن الساحل, وهو ما جعل القطاع التجاري قطاعا رئيساً ضمن هيكل الأنشطة الاقتصادية في المدينة؛ حيث يأتي في المرتبة الثانية بعد قطاع الخدمات, وفق بيانات الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء كما هو مبين في الجدول الآتي[18].

جدول رقم (1)

أنماط الأنشطة الاقتصادية بمدينة طنطا

النشاط	عدد العاملين بالنشاط	النسبة %
خدمات	64.122	50.4
التجارة والنقل	35.312	27.8
الصناعة	25.776	20.3
الزراعة	1658	1.3
أنشطة غير كاملة التوصيف	238	0.2
الإجمالي	127096	100.0

ومع تواصل كرامات العارف بالله سيدي أحمد البدوي, وتزايد اهتمام الدولة, وعلى رأسها المؤسسات الدينية الرسمية بالمسجد, والذي أصبح قبلة للزوار وللطرق الصوفية من كل أنحاء البلاد, ومع الزخم الذي أوجدته الزيارات اليومية والأسبوعية التي لا تنقطع, نشأ السوق بكل أنماطه حول المسجد, وتعددت الأنشطة الاقتصادية

17 **سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع المذكور، ص ص 266-269.**

18 **هيئة التخطيط العمراني، إعداد نظرة شاملة عن قضايا الإسكان ورصد التغيرات التي تطرأ على سوق الإسكان، مدينة طنطا، مقدم إلى البرنامج الانمائي للأمم المتحدة، القاهرة، 2010، ص6.**

ودلالاتها والتي يمكن للباحث أن يقسمها إلى قسمين, قسم رسمي, وآخر ما يمكن أن نطلق عليه اقتصاد الظل, يتداخل كل منهما مع الآخر حتى لا يكاد الباحث في أحيان كثيرة يفرق بين النمطين, وفي الأسطر التالية محاولة لرصد وتحليل الأنشطة الاقتصادية القائمة على البعد الديني, والصيت الميثولوجي للمسجد الأحمدي .

النقل

اكتسبت مدينة طنطا أهمية روحية وسياحية كبيرة بوجود المسجد البدوي؛ حيث إنّ المنطقة التي اختارها القطب الصوفي للإقامة, والتي باتت تقع بالقرب من قلب المدينة التي نشأت في الأساس حول المسجد, في موقع متوسط بين أهم المناطق الحيوية في عاصمة الإقليم؛ حيث مقامه الذي يقصده أبناء المدينة والبلدان المجاورة في زيارات يومية وأسبوعية, بالإضافة إلى نحو 2 مليون زائر في ذكرى مولده, كما تشير الإحصاءات الرسمية[19].

ويوضح الشكل الآتي موقع منطقة قلب المدينة المتوسط, والذي يقع فيه المسجد الأحمدي, وهو ما يجعله نقطة التقاء يسهل الوصول إليها من كل الأنحاء[20].

ولموقع المسجد أهمية كبرى في تيسير وصول الزوار إليه؛ حيث تقع محطة السكك الحديدية الرئيسة إلى شمال المسجد مباشرة, على مسيرة دقائق من الساحة, وهي من أقدم المحطات التي شيدت في مصر, لتربط بين القاهرة والإسكندرية, كما تربط بين مدن الوجه البحري والوجه القبلي, وتتكون من ثمانية أرصفة, وتعد ثالث محطة قطارات تنشأ في مصر والقارة الإفريقية, وبعد التحديثات التي جرت بها, عامي 2009 و 2010, أصبحت المحطة الثانية على مستوى الجمهورية, من حيث قدرتها على استيعاب المسافرين, ونقطة الاتصال الرئيسة بين محطات القطارات الفرعية.

19 **برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية، المكتب الإقليمي لأفريقيا والدول العربية، مصدر سابق، ص 4.**

20 **هيئة التخطيط العمراني، إعداد نظرة شاملة عن قضايا الإسكان، مصدر سابق، ص 39.**

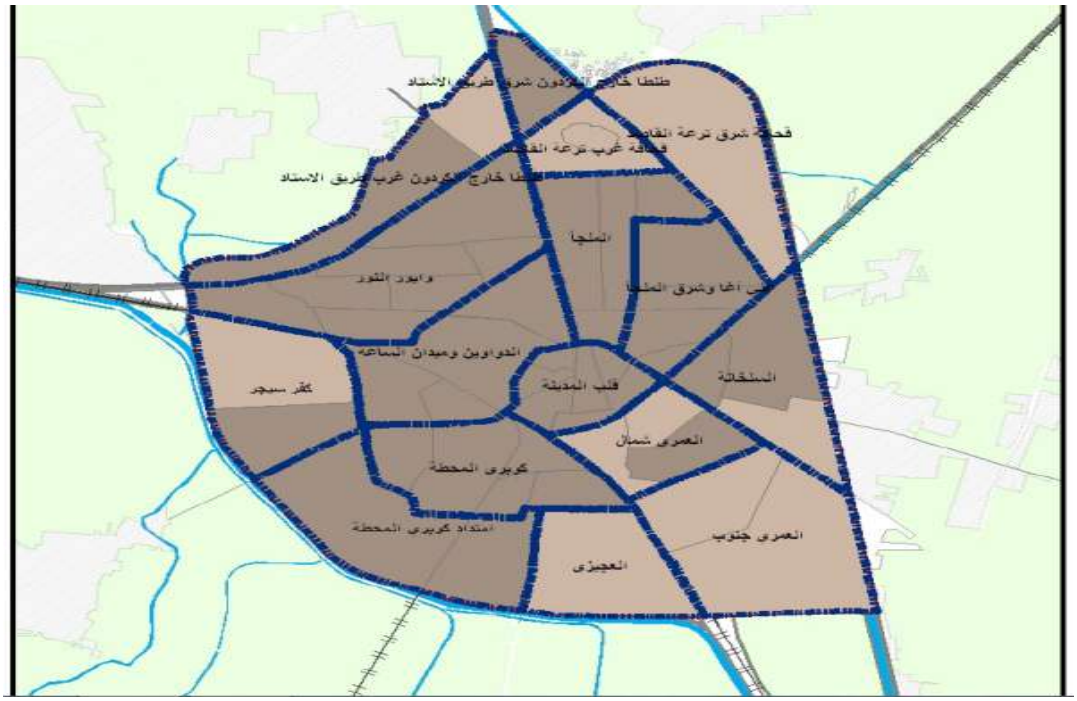

ويعدّ النقل الشريان الرئيس لأيّ سوق، وبشكل يمكن القول معه: إنّ حرفة التجارة قامت أساساً على النقل، وأنّ تعبيد الطرق منذ أقدم العصور تمّ لأسباب تجارية، كاستجابة لمستجدات جغرافية الانتاج والعلاقات الاقتصادية، وفيما يبدو فإن الموقع المتوسط لمدينة طنطا في قلب الدلتا ساعد على أن يأخذ المزار الديني (المسجد الأحمدي) شهرته الواسعة، وانعكس اهتمام الدولة على مرّ عصور طويلة بهذا المزار على نشاطها في مجال شق وتعبيد الطرق، وتوفير وسائل المواصلات من وإلى المزار الذي يقع في قلب المدينة، وعليه أصبحت مدينة طنطا تقع على الطريق الزراعي الرئيس، بين القاهرة والإسكندرية، وهو من أكثر الطرق البرية تقديماً للخدمات، ووفرة في وسائل النقل (الباصات – الأجرة والميكروباص- النقل الخفيف والثقيل)، كما تتصل المدينة بالمدن الأخرى حولها بطرق رئيسة واسعة، مثل: طريق المحلة الكبرى (المدينة الصناعية)، ومنه إلى سمنود ومحافظة الدقهلية، وطريق قطور المؤدي إلى محافظة كفر الشيخ في الشمال، وطريق كفر الزيات الواقع على الطريق الزراعي المؤدي إلى الإسكندرية، وطريق الجنوب البري المؤدي إلى محافظة المنوفية (أكثر المحافظات الطاردة للسكان).

تعدّ مدينة طنطا مركزاً للمواصلات ليس على مستوى الدلتا فقط, وإنما على مستوى الجمهورية؛ حيث تلتقي فيها الطرق الإقليمية المؤدية لكلّ من دمياط وكفر الشيخ والإسكندرية والقاهرة ومدن القناة وسيناء عبر محافظة الشرقية, وبها أكبر محطة سكة حديد, ويعتبر الأتوبيس والميني باص أهم وسائل المواصلات العامة في المدينة, أما عربات السرفيس الخاصة, فلها أهمية حيوية في نقل المواطنين, وتعتبر طنطا ملتقى الطرق الإقليمية وتنقسم إلى طرق سريعة ورئيسية بنسبة 16.25%, وطرق مرصوفة بنسبة 73.61%, وطرق ترابية بنسبة 10.15% [21].

ومن ثمّ؛ فإنّ الوافد إلى مدينة طنطا, والمغادر لها لا يجد أي صعوبة في السفر (منها وإليها) طيلة ساعات اليوم, وهو ما ساعد على تيسير توافد الجموع من المدن والمحافظات المجاورة على مدار العام, وخاصة في وقت المولد, ليصبح العمل في مجال النقل من أهم الأنشطة الاقتصادية التي يعمل بها عدد كبير, وتدرّ ربحاً على أصحابها, سواء ما يتعلق بالنقل الداخلي (السيرفيس والتاكسي), أو النقل الخارجي, وهو ما جعل ترخيص (التاكسي), أو (الميكروباص) من أكثر التراخيص تكلفة؛ حيث وصل سعر رخصة التاكسي إلى أكثر من أربعمئة ألف جنيه, والميكروباص إلى النصف

21 برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية، المكتب الإقليمي لأفريقيا والدول العربية، مصدر سابق، ص ص 9-10.

مليون جنيه, وهي أرقام باهظة تعكس حجم المدخل الاقتصادي لعملية النقل في مدينة مثل طنطا.

في مجال النقل أيضاً؛ نشأ نشاط مواز, غير رسمي؛ حيث انتشر في المدينة دون غيرها عدد هائل من السيارات الملاكي (موديلات قديمة) تعمل كسيارات أجرة دون ترخيص من المرور, وعلى الرغم من الملاحقة الدائمة من قبل شرطة المرور, ومصادرة العديد منها, إلا إنّ أعدادها في تزايد مستمر, وقد أصبح عددها بالآلاف, بحسب التقديرات, وهو ما دفع سائقي التاكسي إلى التظاهر أكثر من مرة أمام ديوان عام محافظة الغربية, احتجاجاً على ما وصفوه بتجاهل إدارة المرور لظاهرة تشغيل السيارات الملاكي بنظام الأجرة, وعدم تحرير مخالفات لهم [22].

وإلى جانب السيارات الخاصة؛ ظهر التوكتوك في مدينة طنطا منذ ما يزيد عن عشرة أعوام, وفشلت أيضاً كلّ جهود السيطرة عليه وعلى سائقيه, وأصبح وسيلة دخل لآلاف السائقين الذين باتوا في عجز عن شراء (التاكسي), الذي وصل ثمنه لأرقام كبيرة, بسبب حظر إصدار تراخيص جديدة, وبات التوكتوك هدفاً للحرفيين الذي توقفت أعمالهم, وكذلك حملة المؤهلات العليا والمتوسطة. وأصبح ميدان السيد البدوي يكتظ بالتكاتك التي لا تكف عن الحركة من وإلى الأحياء المجاورة, بل وأصبح التوك توك يسير في شارع البحر الرئيس, وصولاً إلى ميدان السيد البدوي[23], ويقبل عليه المواطنون نظراً لرخص التعريفة وإمكان التفاوض حولها, وقدرته على الوصول إلى الطرقات الجانبية والضيقة, وهو نفس الأمر الذي ينطبق على التروسيكل, الذي يحمل البضائع والأفراد إلى مختلف الجهات, وتبدو أهمية تلك الوسائل, غير المشروعة قانوناً, في أسبوع المولد؛ حيث لا تكاد الحركة تكلّ ولا تهدأ من وإلى منطقة المسجد الأحمدي, كما تنتشر عربات الكارو خاصة في الليلة الختامية لمولد السيد البدوي, لنقل الزوار من وإلى الساحة الأحمدية ومنطقة الصاري بسبب صعوبة دخول المركبات إلى منطقة الصاري الاحمدي بمنطقة سيجر بالكفور القبلية[24], وتتراوح الأجرة بين عشرة إلى خمسة عشر جنيهاً, أثناء المولد, ومع الازدحام قد

22 رفيق ناصف: مظاهرة لسائقي «تاكسي طنطا» احتجاجاً على نظام الأجر للملاكي، جريدة الوطن، 30 ديسمبر 2015.

23 عاطف دعبس: التوك توك يتحدى قرارات المسؤولين في الغربية، جريدة الزفد، 17 يونيو 2016.

24 إسلام الخياط، الكارو وسيلة مواصلات زوار البدوي، اليوم السابع، عدد 20 أكتوبر 2016.

تزيد التعريفة, وخاصة في الليلة الختامية؛ حيث يقوم السائقون برفع سعر الانتقال من منطقة المسجد لمنطقة الاحتفال بصاري سيجر, وهو ما يجعل الزوار يفضلون الحنطور لانخفاض سعره[25].

وبسبب هذا التنوع الكبير في وسائل المواصلات, ومع عددها المتزايد؛ تتكدس حركة السير, وتتوقف في أحيان كثيرة؛ بسبب الضغط الهائل على الطرق الداخلية, وهو ما يؤدي بدوره إلى زيادة نسبة غياب الطلاب بمدارس مدينة طنطا نظرا للزحام الشديد بالمدينة, وصعوبة المواصلات بها مع اقتراب الليلة الختامية للمولد, خاصة بمنطقتي العجيزي وسيجر بطنطا اللتين تشهدان تزاحماً شديداً من قبل رواد مولد البدوي, كلّ عام بهذا التوقيت, الأمر الذي يجعل ذهاب الطلاب لمدارسهم وإيابهم منها, أمراً بالغ الصعوبة في هذا التوقيت[26] .

ويظلّ المدخل الذي تحدثه عملية النقل في المنظومة الاقتصادية من أهم المدخلات على الإطلاق, فالجميع يشارك فيها, ويتعاطى معها, بوصف النقل الحلقة المركزية والمفصلية للنشاط الاقتصادي بشكل عام.

---

25 **سارة سالم: الحنطور وسيلة مواصلات زوار السيد البدوي، بوابة الغربية، الثلاثاء 18 أكتوبر 2016.**

26 **أسامة دوريش: تعليم الغربية... لا إجازات مدرسية بمولد البدوى بطنطا... والطلاب في المنازل، البيان، 19 أكتوبر 2016.**
Ihac/us.cutt//:http

جدول رقم (2)

يوضح وسيلة المواصلات لدى أفراد العينة للوصول إلى الساحة الأحمدية[27]

الوسيلة (المتغير)		%
التاكسي		
ملاكي		
توكتوك		
حنطور	-	-
المجموع		

يتّضح من البيانات الواردة بالجدول السابق؛ أنّ الميكروباص جاء في المرتبة الأولى, كأهم وسائل المواصلات التي يستخدمها الزوار من أفراد العينة للوصول إلى الساحة الأحمدية, ويستخدمونها باستمرار, وذلك بنسبة كبيرة, بلغت (46.6) من أفراد العينة, وذلك لقلة تكلفتها؛ حيث تتراوح بين جنيهين وثلاثة جنيهات, ويتسم الميكروباص بسرعة الحركة وكثرة المحطات التي تربط بين المناطق المختلفة في طنطا, ويصل في محطته الأخيرة إلى ميدان المحطة أمام الساحة الأحمدية مباشرة.

وتبدو منافسة السيارات الخاصة للتاكسي واضحة, رغم مخالفتها للقانون, حيث تساوت كل منهما في عدد المستخدمين بنسبة (20%), ويبدو ذلك راجعاً إلى عدم ثبات بنديرة التاكسي, ومغالاة السائقين.

ويأتي التوكتوك كمنافس قوي, بنسبة (13.4%), لسهولة حركته, ومرونته وقدرته على الوصول للطرقات والأزقة الضيقة مع إمكانية التفاوض حول الأجرة,

27 **العينة عشوائية مكونة من 15 فرداً، أجرى معهم الباحث مقابلات معمقة في الساحة الأحمدية، روعي في اختيار العينة التنوع العمري؛ 8 من الرجال و7 من النساء.**

في حين جاءت النتيجة الخاصة بالحنطور معبرة عن الصعوبات التي تواجهها وسيلة باتت في طريقها للانقراض.

النشاط السياحي

مع توافد الزوار حول ساحة المسجد الأحمدي، نشأت النُزل والفنادق، ويعد فندق عرفة الجديد الواقع إلى الشمال من المسجد الأحمدي مباشرة هو أشهر وأعرق الفنادق السياحية في المدينة، ويقع تحديداً في ميدان المحطة، وهو من فئة الأربع نجوم، ويمتاز بالجودة، ويعتبر من أفضل فنادق مدينة طنطا من ناحية الخدمات والاسعار المناسبة؛ فالغرفة المفردة سعرها 500 جنيها لليلة، والجناح يصل إلى 850 جنيها لليلة، ويكون حجم الأشغال كاملاً طوال أسبوع المولد، ويتطلب الأمر حجزاً مسبقاً، يعمل الفندق بطاقة 58 غرفة، ويضم مطعماً وكافيه بسطح المبنى حول حمام سباحة.

إضافة إلى فندق عرفة، وفندق جرين هاوس، المماثل في شارع البورصة بالقرب من السوق، تنتشر «اللوكاندات» الرخيصة نسبياً، حول منطقة المسجد، وأهمها:

«اللوكاندة المحمدية»، بجوار مسجد السيد البدوى، و«اللوكاندة الأحمدية» في ميدان السيد البدوي، وفندق البورصة بشارع درب الاثر في الطريق إلى الساحة، وكذلك «لوكاندة مصر»، و«لوكاندة الرحمانية» بالشارع نفسه، وأسعار الغرف تتراوح بين 150 و200 جنيهاً في الليلة، وتصل الإشغالات إلى نسبة 100% في أيام المولد، كما يقوم بعض المواطنين بتأجير غرف بمنازلهم للزوار، أو مداخل العمارات لنصب الخيام واستقبال الوافدين من كل صوب، وهو ما يحقق فوائد اقتصادية عالية لسكان المناطق المجاورة للمسجد في الأحياء الشعبية، مثل: درب الأثر ودرب الإبشيهي والخان وغيرها.

كما تنتشر مئات الخيام في منطقة الصاري التي يقام بها الاحتفال الرئيس، وتعلو أصوات حلقات الذكر والابتهالات في حبّ القطب الصوفي وآل البيت وأولياء الله الصالحين، والخيام في مجملها عادية، تتسع الواحدة من 5 إلى 15 فرداً، بحسب مساحتها، كما تظهر الخيام الفخمة، والتي يطلق عليها الخيام (الخمس نجوم)،

وأشهر تلك الخيام على الإطلاق خيمة الشريفة ناريمان الشهيرة, والتي يفد إليها الجميع, فنجدها تعجّ بالصحفيين والإعلاميين وضباط الشرطة ورجال الدين والدعوة والمجاذيب والدراويش وكل عابر سبيل؛ من أجل مصافحة الشريفة, ناريمان عبد الغفار, التي تحضر كل عام لتقوم بخدمة محبي آل البيت وأحباب العارف بالله السيد البدوي, وسط استقبال حار من أهالي المدينة, وعندما تدخل خيمة الشريفة ناريمان تشاهد خيمة مجهزة كشقة سكنية, يخدم بها عشرات الرجال, وعلى رأسهم الشريفة, التي تقوم بتحضير وجبات المأكولات بنفسها, وتطلق على نفسها أنها من أهل المساكين, ويبدو اهتمامها الشديد بمطبخ الخيمة ونظافته, والحفاظ عليه لتقدم للناس مثل ما تأكله هي وأسرتها التي تشاركها احتفالات المولد كل عام, وتدعو الغني والفقير أن يأكل مما تقدمه من طعام؛ حيث تحرص على إكرام كلّ الضيوف [28].

جدول رقم (3)

يوضح أماكن المبيت المفضلة لزوار السيد البدوي أثناء المولد

المتغير	عدد	%
الانتقال والسفر اليومي	6	40%
المبيت في الساحة	4	26.6
المبيت في خيمة	3	20%
لوكاندة	2	13.4%
فندق	-	-

ويتضح من الجدول السابق؛ أنّ نسبة (40%) من الزوار يفضلون الانتقال اليومي إلى السيد البدوي طيلة أسبوع المولد, ويبدو أنّ ذلك يعود لقرب المسافة, وتوافر وسائل المواصلات, مع زيادة تكلفة الإقامة, في حين يفضل (26.6%) المبيت في الساحة, انتظاراً للعطايا والهبات والنذور, مع عدم القدرة على السفر اليومي أو

28 إسلام الخياط: بالصور... الخيمة البيضاء 5 نجوم في خدمة البدوي، اليوم السابع، عدد 20 أكتوبر 2016.

استئجار مكان، في حين يبيت (20%) في خيام منطقة الصارى، وتستأجر نسبة (13.4%) غرفاً في «لوكاندات»، ويمكن أن يبيت أكثر من شخص في الغرفة الواحدة.

وفيما يتعلق بقطاع السياحة أيضاً، تؤدي المقاهي المحيطة دوراً بارزاً في النشاط الاقتصادي، وعلى رأسها «القهوة الأحمدية»، وهي مقهى أنشأ عام 1886م على يد الحاج على بخيت، وتم بناء المقهى على نفس هيئة وملامح وشكل جدران مسجد السيد البدوي من حيث الزخارف والطراز الإسلامي والشكل الأثري والهندسي، وتم توسيعه، عام 1902، بناءً على طلب من حاكم مصر، الخديوي عباس حلمي الثاني، إبان توسعة المسجد الأحمدي، وتم تطوير المقهى عدة مرات مع المحافظة على التراث القديم. وبسبب موقعه الجغرافي وقربه من فناء المسجد وساحته، ظلّ المقصد الأول للمريدين والزوار، ليس فقط في المولد، ولكن على مدار أيام السنة، وكان من أهم زوار المقهى؛ الرئيس الراحل أنور السادات؛ حيث كان دائم الجلوس فيه أثناء فترة حكم الإنجليز، والشيخ محمد متولى الشعراوي، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية السابق، أحمد عبد الهادي القصبي، بالإضافة إلى زعيم الأمة، سعد زغلول، والوفدي المخضرم ورئيس الوزراء الأسبق، مصطفى النحاس، بحكم أنّ مقرّ حزب الوفد كان في الطابق الثاني من العمارة نفسها الموجودة بها المقهى، وهناك ألفة بين العديد من المريدين والزائرين وبين هذا المقهى المزدحم دائماً بالتحديد؛ حيث يتوجه الزوار على مدار أيام احتفالات المولد في الصباح لأداء الصلاة داخل المسجد ثم يزورون الضريح، وبعد الانتهاء من ذلك يأتون إلى المقهى فيتناولون مشروباتهم ويجلسون عليه طوال اليوم لا ينصرفون عنه إلا في أوقات الصلاة فقط، ومنه يذهبون إلى النوم داخل الخيام أو الغرف التي يستأجرونها[29]. والأسعار في المقهى عادية، وفي متناول الجميع.

وهناك مقهى «زقاق المدق»؛ وهو من المقاهي الشهيرة في المنطقة، والذي يقع في شارع المدارس بقطاع المديرية في اتجاه شارع عمر زعفان، المؤدي مباشرة إلى ساحة المسجد، وكذلك مقهى البورصة بميدان الساعة، وكلها مقاهي تكتظ بالزوار خاصة في أيام الجمع، وليالي شهر رمضان والوافدين خاصة أثناء أسبوع

29 **رفيق ناصف: «قهوة الأحمدية» المقصد الثاني للزوار.. والحاج شافعي: طرازها إسلامي، جريدة الوطن، العدد 1272، 23أكتوبر 2015.**

المولد، وكلها تقدم الخدمة بأسعار عادية، مراعاة للشريحة الأكبر من المريدين، وجذبا للمزيد من الزبائن.

بالنسبة للمطاعم؛ يمكن أن نرصد ثلاثة أنواع من المطاعم التي تقدم الوجبات لزوار المسجد الأحمدي، الأول: المطاعم الفاخرة، وتقع على امتداد شارع عمر زعفان الواصل إلى المسجد، وعلى رأسها مطعم «الأحمدي الزيني»، المطل على المقام مباشرة، ويقدم لضيوفه المشويات بكافة أنواعها، والأطعمة الشعبية الشهيرة، ويستهدف شريحة معينة نظراً لارتفاع أسعاره، ونفس الأمر بالنسبة لمطعم «السعادة» المجاور، وتكاد الحركة داخل هذه المطاعم لا تنقطع مع كثرة الوافدين خاصة في أيام المولد، وعلى الرغم من كونها مطاعم فاخرة إلا إنها تحتفظ بطابعها الشعبي، نظراً لطبيعة المكان، وهناك أيضاً مطاعم المشويات في شارع القنطرة الذي يتقاطع في نهايته مع شارع الخان المؤدي للمسجد الأحمدي.

تمتاز هذه الشريحة من المطاعم بوجود عمالة تتنوع مهاراتها بين النوعية (طهاة ومحاسبين) والعادية (خدمات ونظافة وتوصيل طلبات)، ولا تقل العمالة في أيّ منها عن 6 أشخاص في المتوسط، تزيد في شهر رمضان وأيام المولد، يعتمدون بشكل على (البقشيش) الذي يمنحه العميل كنفحة للسيد البدوي وتقرباً إليه، يقول أحد العمال بمطعم الزيني: إنّ «(البقشيش) يتجاوز الراتب الذي يتقاضاه من صاحب المحل، والذي يتراوح بين 800 إلى 2000 جنيها بحسب ساعات العمل»[30].

النوع الثاني: المطاعم المتوسطة، وتستهدف الشرائح الوسطى من الزوار، وتتميز بأسعارها المتاحة لعدد أكبر من الزوار، يمثلها «حاتي فلسطين» بناصية شارع المدارس بقطاع المديرية في الاتجاه الشرقي للمسجد، يقدم المشويات من اللحوم والتي تتراوح أسعارها بين 10 جنيهات إلى 20 للشطيرة، ويزداد الطلب مع فترة المولد.

النوع الثالث: المطاعم الشعبية التي تقدم (الكشري والفول والفلافل والبطاطس) وتنتشر في المنطقة المحيطة بالمسجد، وأسعارها في متناول

30 مشاهدات ولقاءات ميدانية للباحث.

الجميع, وتخدم قطاعاً عريضاً من الزوار, كما تنتشر في المنطقة المحيطة عربات الفول, والباعة الجائلون, حيث يحمل أحدهم طاولة بها عدد من الشطائر يطوف بها في الساحة وحول المسجد, ولا يكاد يفرغ منها حتى يعود بأخرى, وهكذا, كما ينتشر باعة العصائر (القصب والعرق سوس والتمر هندي).

هنا تبدو البطالة مصطلحاً غير موجود في حضرة السيد البدوي, فمع العدد الكبير الذي يحتاجه قطاع السياحة الدينية, وكذلك عشرات المحلات المتراصة حول المسجد لخدمة ضيوف الضريح, في ظلّ البدائل المتاحة؛ حيث يستطيع أحدهم أن يحمل طاولة من الشطائر, أن يقيم (نصبة شاي) بجوار المسجد, أو في أي مكان من الساحة, وهو ما يعود عليه في نهاية اليوم بأرباح مرضية, نظرًا لامتلاء الساحة التي لا تكاد تفرغ من الزوار طيلة اليوم.

جدول رقم (3)

يوضح الأماكن التي يرتادها زوار السيد البدوي

المتغير	العدد	%
مقهى	12	80
مطعم مشويات	4	26.6%
مطاعم شعبية	13	86.6%
عربة فول	10	66.6%
محلات عصائر	11	73.3%

ويوضح الجدول السابق؛ الإقبال الشديد من قبل رواد المقام على الجلوس على المقاهي بنسبة (80%), لما لها من طابع شعبي, مع عدم تكلفتها الباهظة مقارنة بـ «الكافيهات» السياحية, والإقبال على المطاعم الشعبية كبير, وبنسبة (86.6%)؛ نظراً إلى أنها في متناول الجميع من الناحية الاقتصادية, كما يرتاد نحو (66.6%) عربات الفول التقليدية, لنفس السبب الاقتصادي, وقد أشار (26.6%)من العينة إلى ارتيادهم محلات المشويات بشارع القنطرة المجاور مرة على الأقل خاصة في الليلة

الختامية, كنوع من الاحتفال والابتهاج. وأشار نحو 73.3% إلى تعودهم الذهاب إلى محلات العصير في شارع المديرية.

النشاط التجاري

النشاط التجاري هو أقدم الأنشطة التي قامت حول الضريح؛ حيث اكتسب أهمية متزايدة مع الوقت, ويكاد الباحث يلحظ في جولاته الميدانية وجود كل أنواع النشاط التجاري التي يعج بها السوق حول المسجد, لكن هناك أنشطة بعينها ذات سمات خاصة اكتسبت شهرتها مع الوقت, وأخذت مكانتها الكبيرة, نظراً إلى عدد العاملين بها, وكثرة الطلب والإقبال عليها من قبل الزوار.

وأهم تلك الأنشطة التجارية:

أولاً: العطارة:

في الطريق إلى الساحة الأحمدية قد يذهب الزائر عبر طريق تجاري كبير يسمى درب الأثر, ويشتهر بمحلات العطارة ولوازم السبوع وأعياد الميلاد, حيث تتجاور محلات العطارة بكافة أنواعها وتتفاوت بين الوكالات الكبير, والمحلات المتوسطة والصغيرة, وتستحوذ على عدد كبير من العمالة, في ظل الضغط المتواصل مع كثرة أعداد الزبائن, خاصة في شهر رمضان؛ حيث أنواع الياميش بكافة مستوياتها[31].

تكتسب محلات العطارة المجاورة للسيد البدوي, سواء في الشوارع الرئيسية أو في الأزقة الضيقة حول الميدان, أهمية خاصة؛ حيث الوصفات الشعبية؛ من الأعشاب لعلاج البشرة والشعر والكحة والبرد, والضعف الجنسي, وتأخر الإنجاب, وغيرها, وهي وصفات يعدها أرباب المهنة لأولئك الذاهبون في حجهم الأصغر إلى القطب الذي لا يرد أحد, يأتي الزائر بحاجته, يصلي ركعتين عند المقام ويدعو

31 هبة الله أسامة: السيد البدوي حج الصوفيين الأصغر في طنطا، مصر العربية، 16 أكتوبر 2014.
http://:cutt.us/nUscD

مخلصا من قلبه, ثم يذهب إلى العطار طالباً حاجته, وكله ثقة في استجابة الله بوساطة السيد البدوي, وعليه أصبحت صناعة الوصفات من أكثر الصناعات رواجا في هذا المحيط الشعبي الممتلىء بالنفحات وحكايا الكرامات التي لا تنقطع.

ثانياً: الحلوى ولعب الأطفال

تشتهر مدينة طنطا بصناعة الحلوى, والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالاحتفال بمولد السيد البدوي, وتتراص محلات بيع الحلوى والحمص وحب العزيز في الشارع الرئيس, شارع السيد البدوي, وشارع القيثارية (ينطقها عامة الناس الأثرية), ويعود الأمر في ذلك إلى أحد أتباع السيد البدوي, ويدعى الشيخ جوهر, والذي شرع بعد وفاة سيده في تجفيف الملانة وتوزيعها ترحماً, وهو ما لفت نظر التجار, فبدؤوا في صنع حلوى جافة «حلوى جاما», ويوزع معها الحمص, أو تكون محشوة به, فظهرت الحمصية, ثم الفولية والسمسمية والملبن, وغيرها من أنواع الحلوى, وهي صناعة تعتبر رائجة طوال العام؛ لأنها لا تقتصر على الاحتفال بالمولد فقط؛ حيث يأتي الزبائن من جميع المحافظات في مولد السيد البدوي وفي الأيام العادية, وتعدّ من الهدايا التي يحرص علي شرائها أي زائر لمدينة طنطا[32].

يبلغ أعداد مصانع الحلوى الكبرى بطنطا أكثر من سبعة, وهي التي تقوم بإنتاج الحلوى بترخيص من وزارة الصحة, وتستعد للموسم قبل شهرين لتجهيز احتياجات السوق[33]. ويتجلى توظيف الطابع الديني في صناعة الحلوى, حيث توضع الآيات والأدعية بداخل العلبة كنوع من التبرك ومجاراة الطابع الروحي العام, وفي ذلك يؤكد العربي عوارة, وهو أقدم بائعي الحلويات بطنطا, قيامه بعمل مطبوعات لكتب: «ورد الجيوب في تفريج الكروب», و«الخير والنوال بالذكر

32 **سالي مزروع: اخترعها الشيخ جوهر... رفيق السيد البدوي، العالم اليوم، العدد الأسبوعي، 10 مايو 2010.**

33 **ندى سليم: اليوم السابع، طنطا المدينة الأشهر في حلوى المولد، اليوم السابع، 10 ديسمبر 2015.**

في كلّ الأحوال»، في ذكرى المولد النبوي، و»البطاقة المحمدية»، و»السيرة النبوية»، وملصقات لقبر الرسول، وأبي بكر الصديق، وتوزيعها مع علب الحلوى[34].

تستحوذ تلك المحلات على عدد لا بأس به من العمالة، يتراوح الراتب بين 1000 إلى 1500 جنيه، بحسب ساعات العمل، مع البقشيش؛ حيث يهمس البائع في أذن الزبون: «نفحة السيد ربنا يباركلك»، وهي نفحة لا تتجاوز جنيهاً أو جنيهين، لكنها مع عدد المشترين تجمع مبلغاً معقولاً في نهاية اليوم.

وتشهد محلات الحمص والحلوى بجوار مسجد السيد البدوي حالة من الزحام الشديد من زوار المولد؛ حيث يتكدس المواطنون بالطوابير في انتظار دورهم، بينما تستعين معظم المحلات بعمالة زائدة بعد تزايد نسب البيع والزحام، هذا الإقبال في وقت المولد يعوض المحلات الخسائر التي قد تتكبدها على مدار العام بسبب ارتفاع أسعار الخامات والعمالة؛ حيث إنّ موسم مولد البدوي ينتظره الباعة من العام للعام[35]، وقد أكّد أحد العاملين أنّ الراتب يتراوح في الأيام العادية بين 1000 جنيه إلى 1500، بحسب ساعات العمل، لكنّ الوضع يختلف في أسبوع المولد مع ضغط العمل وكثرة الإقبال، حيث يخرج الجميع راضيين، على حدّ قوله.

كما تنتشر محلات وفرش لعب الأطفال حول المسجد من كل الاتجاهات؛ حيث يحرص الزوار، خاصة من أبناء الريف، على شراء الألعاب لأطفالهم، ولأبناء الأقارب، وتكون الأسعار في متناول الجميع؛ حيث تمتاز برخص الثمن مقارنة بغيرها من محلات لعب الأطفال العادية.

---

34 إسلام الخياط: أشهر بائع حلوى بطنطا: «حلاوة المولد للمسلم والمسيحي»، بوابة فيتو، 21 ديسمبر 2015.
http://www.vetogate.com/1961298

35 محمد عز: زحام جماهيري على محلات الحمص والحلوى بجوار السيد البدوي في طنطا، اليوم السابع، 23 أكتوبر 2015.
http://cutt.us/G0f7p

جدول رقم (5)

يوضح نسبة الإقبال على السلع التجارية المنتشرة حول الساحة الأحمدية

المتغير	عدد	%
شراء مستلزمات عطارة	5	33.3%
شراء حمص	13	86.6%
شراء حلوى	12	80%
شراء لعب أطفال	7	46.6%

ويتضح من الجدول السابق؛ تربع (الحمص) على قائمة المشتريات لزوار الساحة الأحمدية, بنسبة (86.6%)؛ نظراً إلى انخفاض سعره مقارنة بالمسليات الأخرى من المكسرات, وارتفاع قيمته الغذائية كمصدر من مصادر البروتين, تأتي الحلوى في المرتبة الثانية بنسبة (80%) كمنتج شعبي ارتبط بالمكان منذ القدم, في ظل تنوع أسعار الحلوى ومناسبتها لمختلف الشرائح, مع البعد الاجتماعي؛ حيث أصبح من المتعارف عليه أن يحمل الزائر إلى أقاربه وجيرانه الحلوى من السيد البدوي, ويظلّ ارتباط الأطفال باللعب الموجودة حول الساحة مؤشراً مهماً على دخول هذه الصناعة ضمن الصناعات الرائجة, وتمتاز بتنوعها ورخص أثمانها, ويشير الجدول إلى إقبال نحو (46.6%) من أفراد العينة على شراء اللعب لأطفالهم من الساحة الأحمدية, كما تدخل تجارة العطارة في المنافسة بنسبة (33.3%).

ثالثاً: السلع المعمرة والأثاث

تنتشر محلات السلع الكهربائية المعمرة بطول شارع عمر زعفان المؤدي مباشرة إلى ميدان السيد البدوي, استغلالاً لموقع السوق؛ حيث زوار المسجد من أبناء المدينة, والمدن والقرى المجاورة, وأمام المحلات تقف سيارات النقل, لنقل السلع إلى حيث يسكن أصحابها, كما ينشر الحمالون, ونفس الأمر ينطبق على باعة الأثاث المنزلي, لتتكون شبكة اقتصادية تمتاز بالتكامل البيني, ويستطيع العميل أن يتفاوض حول سعل النقل وأجرة حمل البضائع, وفي النهاية لا يفقد أحدهم زبونه,

ويصل الزبون في نفس الوقت عبر مفاوضات سريعة إلى ما يرضيه, ولا ينتهى دور الحمّال بوضع السلع داخل السيارة, وإنما يصحب العميل إلى حيث ينقلها, وتتراوح أجرته في المرة بين 100 إلى 200 جنيه, بحسب الثقل وعدد الأدوار التي يصعدها.

هذه الحالة التبادلية التي يمتاز بها السوق, وأغلب رواده من أهل الريف, تؤكد على الطابع الاعتمادي الشبكي, لحالة اقتصادية تقوم إلى جوار الرمز الديني, وتنهل من وجوده وجذبه للزبائن.

رابعاً: الأقمشة ومستلزمات المنزل:

بامتداد شارع الخان, الذي ينتهي عند الميدان من ناحية الجنوب, تنتشر محلات الأقمشة والمفارش ومستلزمات المنزل؛ حيث توجد البضائع المتنوعة والتي تلائم كافة المستويات الاجتماعية, كما ينتشر الباعة الجائلون رغم محاولات شرطة المرافق ابعادهم عن المنطقة, في ظل تذمر أصحاب المحلات؛ حيث جرت محاولة لنقلهم إلى ميدان المحطة في أرض الموقف القديم, لكن المنطقة البعيدة نسبياً عن الساحة الأحمدية أصابتهم بالنفور, فعادوا يحملون بضائعهم إلى شارع الخان, والذي يشتمل على سوق تجاري كبير (سوق ناصر) وينتهي بسوق للخضار والفاكهة خلف الساحة, وتمتد محلات الأواني المعدنية والفخار والجلود إلى الجنوب نحو سوق الفسيخ ودحديرة صبري وشارع البهي, وكلها منطقة تجارية بامتياز, تنتهي بمنطقة الورش والحدادة في الجانبية.

خامساً: الذهب

تقع محلات الصاغة بالقرب من السيد البدوي؛ حيث توجد في نطاق شياخة السيد البدوي, ويبدأ الطريق الرئيس للصاغة من الساحة الأحمدية, وظلت العادة أن يذهب العروسان والأهل إلى الساحة الأحمدية بعد شراء الشبكة كنوع من أنواع التبرك بالسيد البدوي؛ حيث يقام الاحتفال في ساحة المسجد, وتدق الطبول والدفوف, ويتحصل صاحب الدف وفرقته على أجر نظير ذلك.

سادساً: الأطباء

جرت العادة في القدم أن يتم ختان الأطفال الذكور في أيام المولد, كنوع من التبرك, وهو ما يعود بالخصوبة وكثرة الذرية, فكان ينتشر المتخصصون في خيم خاصة حول الساحة لإجراء عمليات الختان.

ومع كثرة الوافدين من الأنحاء المختلفة, كانت الشوارع القريبة والمؤدية إلى السيد البدوي هي المكان الأنسب الذي وقع عليه اختيار الأطباء لإنشاء عياداتهم الخاصة؛ ففي الأبراج المحيطة بالساحة, مثل برج المصريين؛ الواقع في شارع عمر زعفان, تنتشر العشرات من عيادات أشهر الأطباء في مختلف التخصصات, بالإضافة إلى معامل التحليل, ومحال صنع النظارات الطبية خاصة في شارع المديرية وميدان الساعة, استغلالاً لوجود السوق, وتتزاحم اللافتات, ويتراوح الكشف بين 150 إلى 200 جنيه, وتشهد إقبالاً كبيراً, نظراً لوجودها في رحاب يتبرك بها الناس وينشدون وساطة صاحبها عند اللّه للشفاء.

سابعاً: التسوّل:

مع وجود اقتصاد الظلّ بكلّ أنماطه, وانتشار الباعة الجائلين في ظلّ حالة الكرّ والفرّ الدائمة من رجال الشرطة, يظهر التسول كنمط تقليدي دائم الحضور في المشهد, مع باعة المناديل والبخور والإكسسوارات والمصاحف والأذكار, ويبدو التسول صنعة رائجة لأصحابها, وهي مهنة شديدة التنظيم, لا يمكن لغريب أن يقتحمها, تقول إحدى هؤلاء: «الإذن لازم يجي من عم مسعد, صاحب المنطقة من ناحية القهوة الأحمدية, هو اللي بيحمينا وياخد باله مننا, وبنديله حسابه آخر اليوم».

وسواء كان التسول مقنعاً؛ بحمل المناديل أو البخور, أو مباشراً؛ فإنّ الإذن في ممارسة المهنة لا بدّ من أن يأتي من المتصرف في المنطقة التي تقسم مناطق النفوذ بها بين أفراد بعينهم, يقومون على حماية هؤلاء المتسولين, ويقدمون كذلك المعلومات للشرطة في حال حصول جريمة, نظير تأمين عملهم الذي يقوم على أخذ مبلغ ثابت بشكل يومي من كل متسول.

خاتمة

في البدء؛ كان الولي صاحب الضريح، ثم جاءت طنطا بهيئتها الحالية، لتتحول من قرية صغيرة لا يكاد يسمع عنها أحد، إلى مدينة مركزية يقصدها الزوار والمريدون والصوفية، تنتشر بها النفحات الروحانية، وحلقات الذكر الصاخبة، ولهم فيها منافع أخرى، لتنشأ شبكة متماسكة شديدة الاتساع من الأنشطة الاقتصادية بكافة أنماطها، في اعتمادية حلقية، يتقاطع فيها كلّ نشاط مع الآخر ويعتمد عليه، ويتوقف على وجوده؛ حيث تلتقي كلّ الخيوط حول نقطة مركزية واحدة هي المسجد الأحمدي.

تحفل المدينة بكافة أشكال وصور النشاط الاقتصادي، بفضل وجود السوق الذي نشأ حول الساحة، وامتد إلى داخلها، تختلط أصوات الباعة الجائلين بمكبرات الصوت المثبتة أعلى المحال تعلن عن الأصناف والأسعار، بهمهمات الزوار الذين تعلو وجوههم ابتسامات هادئة تعكس حالة من الصفاء النفسي والرغبة في إلقاء الحمول عند السيد الذي لا يرد عنده أحد، مهما كانت همومه عظيمة، تتبدل الوجوه، وتعلو التكبيرات والتسابيح، ويتعالى ضجيج الصغار حول نافورة المياه، يأتي حملة البخور والمناديل والمتسولون من كل صوب، كل يرتجي الشفاعة والمدد، وكل يعود في نهاية النهار راضياً مجبوراً.

لقد منح الضريح لطنطا نوعاً فريداً من الحياة، ما كان أن يحدث أبداً بدونه، كما منحها شهرة ونوعاً من الرخاء الاقتصادي، خاصة في أسبوع المولد، الذي يعده الجميع موسماً من مواسم الحصاد، قد يعيشون على أرباحه من العام إلى العام، وهنا يتجلى الدور الاقتصادي للتدين الشعبي، في قدرته على تحقيق هذا النوع من الرواج التجاري البيني الداخلي، فهو حجّ إلى الداخل؛ حيث تظلّ الموارد الاقتصادية بين يد أبنائها، ولا يفيد منها سواهم، وحيث يتم التبادل في سهولة ويسر، محفوفاً بالتبريكات والنفحات العطرة.

hafryatnews

hafryatnews

hafryat news

hafryatnews

hafryatnews

hafryat news

All Rights Reserved © 2018

جميع الحقوق محفوظة © 2018